ملخص بحث :

تَشَيُّع المهدي بن تُومَرْت(ت/٥٢٤هـ) بين الحقيقة والافتراء

(بحث تم تحكيمه ونشره بحولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية(مجلة علمية محكمة) كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، العدد الخامس عشر عام ٢٠١٠م)

د/ عادل أمين حافظ

مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

مما لاشك فيه أن مسألة الإمامة واختلاف الآراء حولها، كانت أحد أهم الأسباب التي أدت إلى انقسام المسلمين، وما نتج عن ذلك الانقسام من ضعف أصاب جسد الأمة الإسلامية، وما زالت تعاني منه حتى الآن؛ إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان.

والمتتبع لأحوال الأمة الإسلامية وحالة أبنائها، يدرك مدى التخبط والتشرذم اللذين أحدثهما ذلك الانقسام، وأن دعوى النص على إمامة علي ؓ – فضلا عن عدم وروده في الكتاب والسنة ومخالفته لإجماع المسلمين – كانت وما زالت عباءة يستتر خلفها ذوو الأهواء والمصالح الشخصية، كلٌّ يطمح إلى تحقيق ما توسوس به نفسه، متخذا كل الوسائل التي تحقق له ذلك، دون النظر إلى مشروعيتها أو عدم مشروعيتها.

ولما كان شعار محبة آل البيت والدعوة إلى وجوب نصرتهم، يلقى آذانا صاغية، وتنجذب إليه قلوب وعقول جمهور المسلمين، وجد هؤلاء في هذا الشعار فرصة سانحة لتحقيق مآربهم، فعملوا على التخفي وراءه، لكسب الأنصار والأتباع.

والبحث يتناول شخصية مُحَمَّد بن تُومَرْت الملقب بمهدي الموحدين(المتوفى سنة٥٢٤هـ). وهى شخصية قد اكتنفها الغموض في الكثير من جوانبها، فضلا عن تعارض الأدلة لديها – لاسيما في أصول الدين وفروعه – مما أدى إلى اختلاف الدارسين حولها، فمنهم مَنْ يقف على تبني ابن تومرت بعضَ أفكار الأشاعرة، فينسبه إليها، وليس هذا فحسب بل إن هناك من يرى أن انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب العربي قد تم على يديه. وآخرون يرون تبنيه بعضَ أفكار المعتزلة؛ فينسبونه إلى الاعتزال.وفريق ثالث يرى أصحابُه تبنيه بعضَ الأفكار التي تحاكى أصول الشيعة، فينسبونه إلي التشيع، وليس هذا فحسب بل إن هناك من المؤرخين والدارسين لفكره – قديما وحديثاً – أكد تشيعَه.

ويرتكز البحث على دراسة أقوال ابن تُومَرت ذات الصلة بأصول الشيعة – لاسيما الشيعة الإمامية والإسماعيلية – وهي الإمامة والعصمة والمهدية، وتناول معظم الأقوال التي يرى البعضُ فيها دليلا قويا على تشيعه. كل هذا وذاك في محاولة للإجابة عن السؤال التالي: هل كانتشيع ابن تومرت حقيقةً أم افتراء ؟.

والمنهج المتبع في الدراسة هو منهج التحليل والمقارنة، بهدف تحليل عبارات ابن تومرت ذات الصلة بالتشيع ومقارنتها بأصول الشيعة أنفسِهم؛ للوقوف من خلالها علي حقيقة نسبته إلى التشيع من عدمه. يضاف إلى ذلك تتبع سيرته وأقوال المؤرخين والدارسين لفكره وآثاره؛ لأهميتها في كشف النقاب عن حقيقة مذهبه.

ويأتي البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وأخيرا خاتمة ثم ثبت للمصادر والمراجع.